الأداء القرآنيّ بين المقامات ومراتب التّلاوة

Quranic performance between the stations and the levels of recitation

حورية مرتاض*

المركز الجامعي/ مغنية(الجزائر)، hdjaat@gmail.com

تاريخ الارسال 2020/10/03 تاريخ القبول 2021/11/17 تاريخ النشر2021/12/27

الملخص:

القرآن الكريم؛ ينبوع العلم الذي لا ينضب،وكنز المعرفة الذي لا يفنى،أحدث نزوله تحوّلا فكريا ودينيا،فهو النّموذج الأسمى في البلاغة الصّوتيّة ؛يتوقّف قدر كبير من ملاحظة تلك الميزة فيه على حُسن تلاوته،فقد أُمِرنا أن نُحسّن أصواتنا عند تلاوته مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلّم:« زيّنوا القرآن بأصواتكم »،ولا يتم ذلك إلا بالتزام النّطق الصّحيح للحروف ومراعاة قواعد التلاوة من غير تكلّف في الأداء أو تعثر. وتكمن أهمية الموضوع في كونه يبحث في جانب من الجوانب المتعلقة بتلاوة القرآن، لأنّ الواجب أن نقرأه غضّا طريّا كما أُنزِلَ،ولأنّ الرّسول عليه الصلاة والسلاّم كان قد حذّر من نشئ يأتي بعده يتّخذ القرآن مزامير،وهذا ما نلمسه عند بعض من يقرأ القرآن الكريم بالاعتماد على المقامات الموسيقية. فالقارئ بالمقامات كلّما بالغ في قراءته،فزاد في التّطريب بالرّفع الزّائد للصّوت ،وميّع الحروف،وضيّع الوقوف،ليطرب الآذان ويستحوذ على الإعجاب،متّخذا من القرآن ملهاة لجذب الناس،أُتم على ذلك هو ومُسْتَمِعِيه،لأنّه شغلهم عن المقصود الأعظم من التّلاوة وهو التدبّر والتذكّر.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم –الآداء–المقامات–مراتب التلاوة–التدبّر والتذكّر.

Abstract:

The Noble Quran is the inexhaustible source and treasure of knowledge which through its arrival brought an intellectual and religious transformation, there is no doubt that it is the supreme model in phonetic rhetoric, much of the benefit of noticing this feature depends on its good recitation, and we have commanded to improve our voices when he recites credibility validation of his saying, peace be upon him “Decorate the Quran with your voices”. This is only done by adhering to the correct pronunciation of the letters and observing the rules of recitation without costing or stumbling. The importance of the topic lies in the fact that it examines an aspect related to reciting the Quran because we must read it softly as it was revealed, besides, because our messenger, peace be upon him, had warned about new generation that would come after him, and which will take the Quran as flutes. This is what we find for some who read the Noble Quran relying on musical denominators. The reader with shrines whenever he overstated his reading, then he increased the singing by raising the volume and all the letters wasted standing to sing the ears and gain admiration taken from the

* المؤلف المرسل

Quran as a comedy to attract people, he and his listeners did more than that because he kept them away from what was meant by recitation, which is reflection and remembrance.

Keywords: The Holy Quran- The performance-The shrines- The rankings of recitation- Reflection and remembrance.

1. مقدمة:

القرآن الكّريم، النّموذج الأسمى في البلاغة الصّوتيّة؛ يتوقّف قدر كبير من ملاحظة تلك الميزة فيه على حُسن تلاوته، ولما كانت الأذن الطّريق إلى القلب فقد أُمِرنا أن نُحسّن أصواتنا عند تلاوته لقوله صلّى الله عليه وسلّم: « زيّنوا القرآن بأصواتكم »، [1] حتّى تتعشّقه النّفوس، وتميل إليه القلوب، وليس القصد هنا التّطريب، وإنّما حُسن الأداء بالتزام النّطق الصّحيح ومراعاة قواعد التّلاوة؛ من مدّ، وغنّ، وإظهار، ووقف، ووصل،...

فالمقصود الأعظم من قراءة القرآن هو التدبّر والتذكّر، وهما مفتاح العمل والتّطبيق، مصداقا لقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [2]

وعليه سنحاول في هذه الورقة البحثية أن نبيّن مدى خطورة قراءة القرآن الكريم بالألحان الموسيقية خاصة وأن سيدنا محمد صلى الله عليه

وسلم قد حذرنا من نشئ يأتي بعده يتّخذ القرآن مزامير.أما قوله صلى الله عليه وسلم « زيّنوا القرآن بأصواتكم » لا يقصد به الاعتماد في قراءة القرآن على المقامات، وإنّما تحسين الصوت عند تلاوته، وذلك مصداقا لقوله عزّ وجلّ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾. [3]

ولأن التّرتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف، تطرقنا إلى تعداد مراتب التلاوة ، كما عرّفنا بالمقامات الموسيقية سعيا منّا إلى إدراك الفرق بينهما من جهة ؛ ومن جهة أخرى إبراز أهمية الالتزام بقواعد التلاوة ومراعاتها في أداء النص القرآني، وذلك إيمانا منّا بقيمة الأداء وأهميته في إبراز معاني الآي و دلالاتها، وفي شرح الصدور وشفاء النفوس.

2. الأداء القرآني: حسن الأداء من حُسن الإلقاء الذّي يُزيّن القرآن، ويظهر دور الأصوات في إبراز المعانيّ، كما يُتيح حُسن المتابعة للتّركيبة اللّغوية التي تعطي إيقاعاً معيّنا لا نحب أن نسمّيه بالموسيقى- وإن كان هو

اللّفظ الأقرب إلى تصوير ما نريده– لأنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم كان قد حذّر من نشئ يأتي بعده يتّخذ القرآن مزامير.[4]

فقد جاء في الحديث النبوي الشريف الذّي رواه **عبّاس الغفاري** رضيّ الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: « بَادِروا بالأعمال سِتًّا: إمرة السّفهاء، وكثرة الشّرط، وبيع الحكم، واِستخفافا بالدّم، ونشئ يتّخذون القرآن مزامير، يقدّمون الرّجل ليس بأفقههم ولا أعلمهم، وما يقدّمونه إلاّ ليغنّيهم ».[5]

فالقارئ لزم أن يقرأ على رؤية وإحكام، كما عُرف عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم، فقد أعطى الحروف في قراءته الشّريفة حقّها على الأصول الصّحيحة، فلم تكن قراءته هذّاً ولا عجلةً، بل كانت مفسَّرةً حرفاً حرفا، كيف لا والكلام عزيز من عزيز، وعليّ من عليّ، أحكمت آياته، وفصّلت كلماته، بهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كلّ مقول.

وفنّ الأداء هو فنّ الإلقاء، بمعنى « المهارة الفنّية في استغلال الصّوت بما تخدم الإنسان في تعامله واتّصاله بالآخرين، في شكل جميل ومُمتع ومُثير».[6]

وهو أيضا فنّ التّأثير في المستمع لينجذب إلى المؤدّي بكلّ حواسه السّمعية والبصريّة والشّعورية، عن طريق اللّفظ، و العبارة، و الأسلوب، وجهارة الصّوت، والنّبرة، والتّنغيم، وسلامة النّطق من العيوب المخلّة بفصاحة الكلام.[7]

وقد استخدم اللّفظ اِصطلاحاً في علميّ القراءات والتّجويد، ويطلق على المهارة في إخراج الحروف، وتوفية صفاتها؛ لذا يقال: «هو حَسَنُ الأداء إذا كان حَسَنَ إخراج الحروف من مخارجها».[8]

–يقول **الخاقاني** في القراءة وحُسن الأداء:[9]

أيا قارئ القرآن أحسن أداءهُ يُضاعف لك الله الجزيل من الأجر

فما كلّ من يتلو الكتاب يقيمه ولا كلّ من في النّاس يقرئهم مقرئ

فلعّل أهمُّ ما عُني به في نقل القرآن الكّريم تلك الهيئات الأدائية، كالإشمام في بعض صُوره، والسّكت، ونحوها ممّا نقل من وجوه الأداء.[10]

من هنا تبرز أهمية الأداء خاصّة إذا تعلّق الأمر بأداء كتاب الله المعجّز بفصاحته وبلاغته. وقد أدرك العلماء هذه الأهمية حين عرّفوا التّجويد وقنّنوا قواعده وأحكامه، وحين بيّنوا كيفية القراءة والتّلاوة.

يقول أحد من منّ الله عليه بالعلم والأدب فأدرك قيمة الأداء القرآني وأثره على العربية: « وبقي وجه آخر من تأثير القرآن في اللّغة، وهو إقامة أدائها على الوجه الذّي نطقوا به، وتيسير ذلك لأهلها في كلّ عصر، وإن ضعفت الأصول واضطربت الفروع، بحيث لولا هذا الكتاب الكّريم لما وُجد على الأرض أَسْوَدَ ولا أَحْمَرَ يعرف كيف كانت تنطق العرب بألسنتها، وكيف تقيم أحرفها وتحقّق مخارجها، وهذا أمر يكون في ذهابه ذهاب البيان العربي جُملته أو عامته، لأن مبناه على أجراس الحروف واتّساقها، ومداره على الوجه الذّي تؤدّى به الألفاظ ». [11]

ويعد نبيّنا محمد صلّى الله عليه وسلّم، سيّد الإلقاء، ورائد الأداء الأوّل؛ حيث قرأ القرآن على الكيفية التي أمره الله بها، فكان يأخذ بألباب السّامعين ويسحرهم بحسن أدائه صلّى الله عليه وسلّم. ومن شواهد ذلك أن كان بعض صناديد الشّرك يتسلّلون خلسة ليسمعوا القرآن من فيه صلّى الله عليه وسلّم؛ فقد وصفه أحد قادة الكفار بأنّ له حلاوة وعليه طلاوة.

ومن بعد النّبي تمتّع أصحابٌ له رضوان الله عليهم بخاصّة الأداء المميّز، فقد كانوا من الذّين يحبّ أن يسمع القرآن منهم، وممّا يُروى عنه صلّى الله عليه وسلّم أن مرّ **وعائشة بأبيّ موسى الأشعري**، وهو يقرأ في بيته، فقاما يستمعان لقراءته ثمّ مَضَيا، فلَما أصبحا لقي **أبو موسى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم** فقال: « يا أبا موسى مررت بك البارحة، ولقد أوتيت مزماراً من مزامير داوود، فقال: أما أنّي لو علمت بمكانك لحبّرته لك تحبيرا ». [12]

واشتهر أناس من غير الصّحابة بالأداء المميّز العالي الذّي أشرق القلوب، واستمال الآذان؛ فهذا **ابن الجزري** يروي لنا أنّ الإمام **أبا محمّد عبد الله بن علي البغدادي** المعروف **بسبط الخياط** (**541**هـ) مؤلّف المبهج في القراءات –رحمه الله– كان قد أُعطي من الأداء الحسن حظّاً عظيماً، وقد أسلم جماعة من اليهود والنّصارى من سماع قراءته. [13]

هذا فضلا عن القرّاء الذّين ذاع صيتهم وشهرتهم: **نافع، وعاصم، وابن كثير، وابن عامر، وأبي عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف، والحضرمي،.....**

ولا يقف حُسن القراءة والتمتّع بها عند حُسن الصّوت فقط؛ بل يتحقّق ذلك بحُسن الأداء أيضا، وهذا ما يؤيّده **ابن الجزري** في قوله: « ولقد أدركنا من شيوخنا من لم يكن له حُسن صوتٍ، ولا معرفة له بالألحان، إلاّ أنّه

كان جيّد الأداء فيما يُلفظ، فكان إذا قرأ أطرب السّامع، وأخذ من القلوب بالمجامع، فكان الخلق يزدحمون عليه، ويجتمعون على الاستماع إليه —من الخواص والعوام– يستوي في ذلك من يعرف العربية ومن لا يعرفها، من سائر الأنام، مع تركهم جماعات من ذوي الأصوات الحسان، عازفين بالمقامات والألحان، لخروجهم عن التّجويد والإتقان ». [14]

ولقد كانت نظرة القرّاء أوفق وأسدد؛ ولعّل خير دليل الجهد الأوفر، والعمل الأقوم الذّي أتى على يد الإمام **ابن الجزري** (**833**هـ) في كتابه **النشر في القراءات العشر**، عقد فيه مقدّمة عن الحروف، وما ينبغي أن يُراعى في كل حرف، وما ينبغي أن يبتعد عنه، قال رحمه الله: « التّجويد هو حلية التّلاوة، وزينة القراءة، وهو إعطاء الحروف حقوقها، وترتيبها مراتبها، وردّ الحرف إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره، وتصحيح لفظه، وتلطيف النّطق به على صيغته، وكمال هيئته، من غير إسراف ولا تعسّف، ولا إفراط ولا تكلّف ». [15]

3. مراتب التّلاوة:

يحظى الأداء القرآنيّ بثراء هيئاته وتنوّعها، وتشمل ظواهره مراتب التّلاوة وأساليبها، من تحقيق، وحدر، وترجيع، وتحزين، وغيرها.

وقد أشار **ابن البناء** (**417**هـ) إلى توجيه القارئ على المضيّ على سَنَنَ واحد في مراتب التّلاوة، قال: « وهم على ثلاثة أضرب: فمنهم من يمضي على سَنن واحد بترتيل* واحد وهو أكملها، أو بحدر وهو أسهلها، أو أن يجمع* بينهما وهو أعدلها ». [16] فالتّلاوة إذا جاءت متناسقة مالت إليها النّفوس، واستمعت إليها الآذان، وانشرحت لها الصّدور.

1.3التّحقيق: وهو إعطاء كلّ حرف حقّه من إشباع المدّ، وتحقيق الهمزة، وإتمام الحركات، واعتماد الإظهار، والتّشديدات ، وتوفية الغنّات، وتفكيك الحروف. [17]

والتّحقيق وسيلة إلى تصحيح الألفاظ وإستقامتها على الفهم الأقوم، إذ لا سبيل إلى حقيقة المعنى إلاّ بتحقيق الألفاظ على أصولها، فهو أعلى المراتب من جهة التّأني والتّؤدة، وليس فوقه إلاّ التّعسف والإفراط في التّمطيط، والمبالغة في إشباع الحركات.

2.3التّرتيل: أثر عن **عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه** أنّه قال: « التّرتيل: تجويد الحروف ومعرفة الوقوف »، [18] وهو قدر زائد على التّحقيق، حيث يشتركان في التّأني والتّؤده. ويزيد التّرتيل بالعناية بالتدبّر والتّفكير

والإستنباط، لأنّ الغاية من التّؤدة في التّرتيل بيان المعاني، قال الله تعالى: ﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾، [19] أيّ على مَهلٍ وتؤدةٍ لا على عَجَلَةٍ.

قال **الزّركشي (494هـ)** « من أراد أن يقرأ القرآن بكمال التّرتيل فليقرأه على منازله؛ فإن كان يقرأ تهديداً لفظ به لفظ المتهدّد، وإن كان يقرأ لفظ تعظيم لفظ به على التّعظيم، وينبغي أن يشتغل قلبه في التفكّر في معنى ما يلفظه لسانه، فيعرف كلّ آية معناها »، [20] فلا جَرَمَ أنّ القرآن الكريم إذا رُتّل حقّ ترتيله عَمَّ تأثيره على كلّ من سمعه.

3.3التّرجيع: وهو تقارب ضروب الحركات في الصّوت نحو آآآآ، وهو نوع من التّرتيل يزيد عليه بقدر من التّغني الجائز، وحمله العلماء على تكرار الآية أو بعضها.[21]

وقد وردت في ذلك الأحاديث عن **رسول الله صلّى الله عليه وسلّم**، روي عن **عليّ رضي الله عنه** أنّه قال: « كان نبيّكم حَسَنَ الصّوت مادًّا له ترجيع »،[22] ولعلّ هذا ما يدّل على أنّ **النّبي صلّى الله عليه وسلّم** أباح التّغني بالقرآن وأباح ترجيع الكلمات مترنّما بمعانيها، مردّداً لها بترديد ألفاظها.

ومع ذلك يتشدّد العلماء فيما يتعلّق بترجيع القرآن والتّغني به إلى عدم الخروج عن حدود التّجويد، وأن لا يكون التّغني لمجرّد النّغم من غير النّظر إلى المعانيّ، وألاّ يكون متشابها لترجيع الغناء المنافي للخشوع الذّي هو مقصود التّلاوة، ولهذا نصّوا على منع القراءة بالتّرعيد،* والترقيص،* والتّرطيب.*

4.3التّحزين: وهو أن يترك القارئ طباعه وعادته في التّلاوة، فيأتي بها على وجه يخفض فيه النّغمة كأنّه حزين، وقد منعه العلماء لما فيه من الرّياء، ومشابهة النّوح، وضعف الحروف. [23]

وأمّا من سلم من ذلك فقد أجازه العلماء، نقل **ابن الباذش (540هـ)** عن **عبد الله بن حبيب (248 هـ)** قال: « ولا بأس أن يجزّئ القارئ قراءته من غير ترطيب ولا ترجيع يشبه الغناء في مقاطعه ومكاسره، أو تحزيناً فاحشا يشبه النّوح، أو يميت به حروفه فلا خير في ذلك، وأما ما سَهُل منه فذلك مستحسن من ذوي الصّوت الحسن». [24]

فالقراءة إذا جاءت كلّها على وجه التّحزين لم توفِ المعاني حقّها كما ينبغي، إذ لابد من التّنويه بالمعاني في كلّ أسلوب، حيث يأخذ كل معنى ما يوافقه من تلك الأساليب.

5.3التّدوير: وهو التوّسط بين التّحقيق والحدر، لأنّه لا يأتي على سَنَن واحد مُتتابع بل تملّه الأسماع، والقارئ فيه في حرزٍ من التّمطيط المفضي إلى السآمة، أو العجلة المفسدة للمباني والمعاني.[25] وهو مذهب سائر القراء، وهو المختار عند أكثر الأداء.

-يقول الناظم في المراتب:[26]

حدر وتدوير وترتيل تُرى جميعها مراتبا لمن قرا

6.3الحدر: وهو القراءة السّريعة الخفيفة من غير الإخلال بأحكام التّجويد وقواعد الرّواية،[27] أصله الحطّ، وكلّ ما حططته من علّو إلى سفل فقد حدرته، وهو لون متغيّر من ألوان الأداء يتّسم بالسّماحة وعذوبة الألفاظ ولطافة المعنى.[28]

ويكون الحدر بألوان عديدة، رُخّص منها الهذّ* والزمزمة،* والحدر سهل سمح، ولكن لا يتقنه إلا الماهر، فمن أخذ به وجب عليه أن يُراعي سلامة الأداء وصحّة الحروف، قال **الشيرازي** (**ت565هـ**): ومن لم يمكنه حسن الأداء بالحدر فلا ينبغي أن يقرأ إلا بالترتيل.[29]

-وقد وصف **السّخاوي** القراءة الصّحيحة بأبيات له في قصيدة قال فيها:[30]

يا من يروم تلاوة القرآن ويُرود شآو أئمة الإتقان

لا تحسب التّجويد مدا مفرطا أو مدّ لامدّ فيه لَوَانِ

أو أنّ تشدّد بعد مدّ همزة أو أن تلوك الحرف كالسّكران

أو تفوّه بهمزة متهوّعا فيفرُّ سامعها من الغثيان

ولا شك أن التّحسين والتّبيين من غايات المعاني السّالفة الذّكر، يقول **الطّبري** (**ت478هـ**): « وإنّما تُحمد الضروب كلّها إذا صحبهن التّجويد والتّبيين والتّحسين».[31]

قال خادم القرآن الكريم **أيمن رشدي سويد**: « يحسّنون أصواتهم ما استطاعوا بتلاوة كتاب ربّهم من غير أن يستعملوا تلك الإيقاعات المستفادة من علم الموسيقى، لأنّ القرآن أجلّ من ذلك وأعظم ».[32]

فكثيرا ما تتأثر قراءة القرآن بالألحان القوميّة الشّائعة في الأمّة، وعليه تختلف القراءة بالألحان من أمّة إلى أمّة، ومن شخص إلى شخص، لأنّه من العسير أحيانا على الفرد التخلّص من اللّحن الذي ألفه، وعليه نجد في بعض الشّعوب العربيّة من يتّخذ من التّغني بالقرآن ملهاة لجذب النّاس حتّى وإن أدّى ذلك إلى الخروج عن قواعد التّلاوة.

وذلك منهى عنه بقوله **صلّى الله عليه وسلّم**: « اقرؤوا القرآن بلحون العرب و أصواتها، وإياكم ولحون أهل الكتابيين وأهل الفسق، فإنّه سيجيء بعدي قوم يرجّعون بالقرآن ترجيع الرهبانية والنّوح، لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم » [33].

فقد قرأ الأوّلون بالطّبع والسّليقة فأدّوه أحسن أداء، وكان حُسن الأداء سبيلهم لحسن الاستماع، وحسن الاستماع سبيلهم لحسن التدبّر، وحُسن التدبّر سبيلا لِحُسن الإنتفاع.

4 المقامات:

المقام كلمة دخلت الاصطلاح الموسيقي الغربي للدّلالة على تركيز الجمل الموسيقيّة على مختلف درجات السلّم الموسيقي*حتّى تحدث تأثيرا معيّنا على مؤدّيها، ثمّ على سامعيه.

وقد اشتهرت الكلمة في أغلب البلاد العربيّة و الإسلامية حيث صارت تستعمل للدّلالة على مجموع السّلالم الموسيقيّة التي وضعت لكلّ منها أبعاد مخصوصة بين مختلف درجاتها لتحدث التّأثير المطلوب.

و**المقام الصّوتي** هو ذلك الصّوت الحسن الذي به نتلو القرآن الكّريم، مع مراعاة مراتب التّلاوة وأحكام التّجويد من مدّ وقصر، وسكت، ووقف،...من غير تكلّف أو تعثّر يكون مزيّناً بنغمة حزينة، جميلة، تبعث على الخشوع والتّأمل وجلب الانتباه. [34]

1.4أنواعها: المقامات الموسيقية أنواع، وهي:

1.1.4مقام البيات: سهل ممتع، يمتاز بالخشوع والرّهبانية، به تبدأ القراءة وبه تنتهي، يجلب القلب ويجعله يتفكّر ويتدبّر في آيات الله البيّنات ومعانيها.

ويرتكز مقام البيات على درجة "**الدوكاه**" وهي كلمة فارسيّة مركّبة من "**دو**" بمعنى اثنين، و"**كاه**" بمعنى صوت "**ري**" ويشمل بين درجاته ثلاثة أرباع البعد مكرّرة، ثمّ بعداً كاملا.[35]

2.1.4مقام الرّست: يمتاز بالفخامة والاستقامة، ويستخدم عند تلاوة الآيات ذات الطّابع القصصيّ، يقرأ به معظم أئمة الحرمين المكّي والمدنيّ، أمثال: **الحذيفي، والسّديس، والمحيسني**.

ويرتكز هذا المقام على ثلاثة عقود في"الرست" "**دو**"، و"**صول**" النّوى، و"**دو الثّانية**" الكردان، ويتغيّر عقده الثّاني ليصبح في حالة النّزل (**نهاوند**)، على درجة النّوى (**صول**)، وللرست خفقة وهي أن يصل النّسيج في القراءة إلى أعلى درجة، ثمّ يختم الآية بنزول شديد.[36]

يُعدّ الرّست من أعرق المقامات العربيّة، حيث تعرّض لذكره **الأصفهاني** في كتابه **الأغانيّ**، ويسمّى في بلاد المغرب بالإستهلاّل.

3.1.4مقام النهاوند: يمتاز بالعاطفة والحنان والرّقة، حيث يعتبر أقوى مقام يبعث إلى الخشوع والتّفكّر، ومن المشايخ الذّين يتناسب صوتهم والمقام **العفاسيّ، والشّاطري**.

يرتكز المقام من عقد (**نهاوند**) على"**دو**" يليه عقد (**حجاز**) على "**النّوى**" "**صول**" (**فنهاوند**) على (**الكردان**) "**دو الثّانية**"، وفي حالة النّزول بالسلّم يتغيّر العقد الثّاني (**الحجاز**) إلى (**كردي**) على درجة (**النّوى**) "**صول**".

يُعد النهاوند أيضا من أعرق المقامات العربيّة، حيث جاء على ذكره **الأصفهاني** في كتابه **الأغانيّ**، ويسمّى في الجزائر (الهاوي) أو(الساحلي)، وفي تونس(محيّر سيكاه). [37]

4.1.4مقام السيكاه أو الكرد: يمتاز بالبطء والترسّل، حيث يدخل في عمق القلب يفتح آفاقه للنّظر في الأحكام، ومن المشايخ الذّين يتناسب صوتهم والمقام **المنشاويّ ، والقحطانيّ**.[38]

5.1.4مقام الصبا: يمتاز بالرّوحانية الجيّاشة والعاطفة، إذ يُعدّ أفضل مقام صوتيّ، يستطيع المقرئ أن يعبّر من خلاله عن تفاعله مع الآيات؛ وذلك عن طريق استخدام (الجواب والقرار)* . ويقرأ بهذا المقام الشّيخ **القحطاني** مرتّلا، وقرأ به الشّيخ **المنشاوي** رحمه الله مجوّداً.

ويتركّب مقام الصبا من عقد بياتي ثلاثيّ على درجة (**الدوكاه**)"**ري**"، يليه عقد حجاز على درجة (**الجهاركاه**) "**فا**" ثمّ حجاز آخر على درجة (**الدوكاه**) "**ري**" يليه عقد رست على درجة (**النوى**) "**صول**".[39]

6.1.4مقام الحجاز: يمتاز بالرّوحانية والخشوع، أصله عربيّ وينسب إلى بلاد الحجاز العربيّة الأصيلة.

يرتكز على عقد حجاز على درجة (**الدوكاه**) "**ري**" يليه عقد رست على درجة (**النوى**) "**صول**"، ويعرف في الجزائر **بالزيدان**.[40]

7.1.4مقام العجم: من المقامات الشّرقية الرّئيسة، يعادل سلم دو الكبير في الموسيقى الغربيّة.

ويرتكز العجم على عقد ثلاثيّ على درجة(**سي**)المخفوضة، يبدأ من علامة "**دو**" وينتهي إليها، كما يرتكز على درجة العجم عشيران "**فا**".[41]

وقد سئلت اللجنة الدائمة للإفتاء(فتوى رقم 15038) في المملكة العربية السعودية عن حكم استخدام الغناء في الثّناء على الله سبحانه وتعالى ، وتلحين الآيات القرآنية .....فأجابت أن هذا العمل لا يجوز لما يلي: (أنّ الغناء حرام لأنه من لهو الحديث...و أشد من ذلك في التّحريم تلحين القرآن الكريم بألحان الغناء؛ لأنّ في ذلك امتهانا للقرآن الكريم، وجعله من جملة الأغاني التي يقصد بها الطّرب..)

فإن قرأ القارئ مراعيّا أحكام التّجويد والمقامات الموسيقيّة في آن واحد عن تعمُّل وتصنُّع، مقدّما الحكم النّغمي على الحكم التّجويدي، كأن يمدّ حيث لا يوجد مدّ، ويزيد في المدّ ما لا يُجيزه النّقل والمشافهة، ذلك حرام باتفاق الأئمة والقرّاء والفقهاء.

وإن بالغ القارئ بالمقامات فزاد في التّطريب بالرّفع الزّائد للصّوت، وميّع الحروف، وضيّع الوقوف ليطرب السّامعين ويستحوذ على إعجابهم، فهذا أشدّ حرمة ممّا قبله، يُأثم منه القارئ والسّامع.

5. خاتمة:

قراءة القرآن بالألحان والأنغام الموسيقيّة بدعة لم يفعلها **رسول الله صلّى الله عليه وسلّم**، ولا صحابته الكرام، ولا نزل بها **جبريل عليه االسّلام**، لأنّها تشغل القارئ بها عن المقصود الأعظم عن التّلاوة، وهو التدّبر والتذكّر، مصداقا لقوله تعالى:﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾.[42]

وعليه لابدّ من الحذر خاصة طلاب الحلقات القرآنيّة من الافتنان بأمر المقامات والسّعي لتعلّمها لأنّ القراءة بها غالبا ما تجرّ صاحبها إلى تعلّم هذا العلم.

وأمّا تحسين الصّوت بالقرآن فأمر مطلوب شرعا –لما ورد عن **النّبي المصطفى** من أحاديث شريفة– لا يدّل بحال من الأحوال على جواز تلحين القرآن وقراءته بالأنغام الموسيقيّة، وإنّما يدلّ على التّغني بالقرآن، ويكون ذلك بتحسين الصّوت عند التّلاوة بحسب القراءة السليقية بلحون العرب وما جُبلوا عليه، لا بألحان العجم.

ومنه نخلص في الأخير إلى أنّ الأداء الصّوتي هو الذّي يؤثّر في المقام الموسيقيّ، لأنّه يأخذنا لمجموع المقرئين لكتاب الله تعالى، نجد أصواتهم تتباين، فمنها الرّقيق ومنها الخشن، فنجد في الأوّل جرسًا وحسًّا، وفي الآخر قوّة وتعبيرا تجعل المستمع يتذوّق.

ها هنا يأتي المختصّ بالمقامات الموسيقيّة، ليوضح لنا الأداء الأوّل يتناسب في الصّوت مع أيّ مقام، ويتناسب الأداء الثّاني مع أيّ مقام، فلا يرضيّن امرؤ لنفسه في قراءة كتاب الله عزّ وجّل، إلاّ بأعلى الأمور، متّبعا غير مبتدع، والحق أحق أن يتبّع، والله هو الحق، وهو يهدي السّبيل

–الهوامش:

[1]– أبو عبيد القاسم بن سلام، فضائل القرآن، تح: وهبي سليمان غاوجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ،1999م ،ص76.

[2]– الآية 29 من سورة ص.

[3]– الآية 44 من سورة المزمّل.

[4] – ابراهيم شادي، البلاغة الصّوتية في القرآن الكّريم ، الشّركة الإسلاميّة للإنتاج والتّوزيع (الرّسالة)، القاهرة، ط1، 1988م، ص11.

[5] – أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط2، 32/18..

[6]–عبد الوارث عسر، فنّ الإلقاء، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، القاهرة، مصر، دط، 1982، ص7.

[7]– محمود طاهر درويش، الخطابة في صدر الإسلام ، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1968، 33/1.

[8] – الزّبيدي، تاج العروس، مطبعة الكّويت (طبعة مصوّرة)، 2008، باب الواو والياء، فصل الهمزة.

[9]– أبو مزاحم الخاقاني، المنظومة الخاقانية ، مكتبة أولاد الشّيخ للتّراث، دط، دت، ص18.

[10]– ينظر: إبراز المعانيّ بالأداء القرآنيّ، الدوسري ، دار الحضارة للنّشر والتّوزيع، الرّياض، ط1، 2007، ص24 و25.

[11]– مصطفى صادق الرافعيّ، إعجاز القرآن والبلاغة النّبوية ، مطبعة المقتطف، مصر، ط3، 1988، ص97.

[12]– العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاريّ، المطبعة الكبرى، الميرلية، سولاق، مصر، 1301هـ، 94/1.

[13]– ابن الجزري، النّشر في القراءات العشر، مر: علي محمّد الضباع، دار الكتب العلميّة، بيروت، دط، دت، 213/1.

[14]– ينظر :النّشر في القراءات العشر، 212/1.

[15]- ينظر : نفسه ، 213/1.

[16] - أبو علي الحسن بن أحمد بن البناء، بيان العيوب التّي يجب أن يتجنّبها القرّاء، تح: غانم قدوري، دار عمّار للنّشر والتّوزيع، عمان، ط1، 2001، ص47.

[17]- ينظر: النّشر في القراءات العشر ،205/1.

[18]- ينظر : نفسه ، 209/1.

[19]- الآية 106 من سورة الإسراء.

[20]- ينظر: الزّركشي، البرهان في علوم القرآن ، تح: أبيّ الفضل الدمياطي، دار الحديث للطّبع والنّشر والتّوزيع، القاهرة، دط، 2006، ص450.

[21]-ينظر: إبراز المعانيّ بالأداء القرآنيّ، ص91.

[22]- ينظر: نفسه، ص92.

* **التّرعيد**: هو الإتيان بالصّوت عند القراءة مضرباً كأنّه يرتعد من بردٍ أو ألمٍ.

* **التّرقيص**: هو رَوم السّكوت على السّاكن عند القراءة ثمّ النفر مع الحركة كأنه في عَدْوٍ أو هرولة.

* **التّرطيب**: هو التّنغيم والتّرنيم بالقراءة، حيث يُزاد في المدّ في موضع المدّ وفي غيره.

[23]- ينظر: ابن الباذش، الإقناع في القراءات السّبع، تح: عبد المجيد قطامش، دار الفكر، دمشق، ط1، 1403هـ، 556/1.

[24]- ينظر: نفسه، 559/1.

[25]- ينظر: عبد الفتاح السّيد عجميّ المرصفي، غاية القارئ إلى تجويد كلام الباري، مكتبة طيبة، المدينة المنوّرة، ط2، دت ،ص43.

[26]- عطيّة قابل نصر، غاية المزيد في علم التّجويد، دد ، الرّياض، ط4، 1994، ص20.

[27]- ينظر: النّشر، 207/2.

[28]- ينظر: أبو العلاء الحسن بن حمد الهمداني العطار، التّمهيد في معرفة التّجويد، تح: غانم قدوري، دار عمّار، عمّان، ط1، 2000، ص185.

* **الهذّ**: هو سرعة القطع وسرعة القراءة.

* **الزمزمة**: هي القراءة في النفس خاصة، وهي أن يكون الصّوت محسوسا غير مُستَبان للمخافتة التي فيها.

[29]- ينظر: نصر بن علي الشيرازي، الموضّح في وجوه القراءات وعللها، الجمعيّة الخيريّة لتحفيظ القرآن الكّريم، مكّة المكرّمة،ط1، 1993، 154/1.

[30] - علم الدّين السّخاوي، جمال القرّاء وكمال الإقراء، تح: علي حسين التّواب، مطبعة المدنيّ، مكّة المكرّمة، ط1، 1987، 54/2.

[31]- ينظر: عبد الكّريم بن عبد الصمد الطبري، التّلخيص في القراءات الثّمان، تح :محمّد حسين عقيل موسى، الهيئة الخيريّة لتحفيظ القرآن الكّريم جدّة، دط ، 1992 .

[32]– أيمن رشدي سويد، البيان لحكم قراءة القرآن الكّريم بالألحان، الهيئة الخيرية لتحفيظ القرآن الكّريم، جدّة، ط1، 1412هـ، ص7.

[33]– أبو القاسم سليمان بن أحمد الطّبراني، المعجم الأوسط ، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، مكة المكرمة،1995م ، 183/7. حديث رقم(7223).

***السّلم الموسيقيّ**: هو درجات ارتفاع الصّوت أو انخفاضه بشكل منسّق ومتدرّج ومنظّم، فإذا ما تمّ القفز عن درجة ما فإنّ الصّوت يصبح ناشزاً ، ونعني بالنّشاز الخروج من مقام إلى آخر خروجا غير متناسق والمقام الأصليّ، ويكون غير مريح للأذن المستمعة.

[34]– ينظر: براءة نور الدّين الصّباغ، التّرتيل القرآنيّ مفهومه وأثره في اللّغة –دراسة صوتيّة تحليليّة–، رسالة ماجستير، جامعة الشّرق الأوسط، 2012، ص20.

[35] – ينظر:صالح المهدي، مقامات الموسيقى العربية،المعهد الرشيدي للموسيقى التونسية، تونس، ط2 ، ص21.

[36]– ينظر: مقامات الموسيقى العربية ، ص25

[37] –ينظر: نفسه ، ص29.

[38]–ينظر: نقسه ،ص21.

* **الجواب**: هو ارتفاع نسبيّ في عدد اهتزاز النّبرات الصّوتيّة، ويعني عُرفاً السّؤال الموسيقيّ، لأنّه صوت يوحي بعدم اكتمال الحدث أو القصص أو الموضوع. **والقرار**: هو انخفاض في عدد اهتزاز النّبرات الصّوتية، ويعني عُرفا الجواب الموسيقيّ ؛ فالإمام النّاجح في تلاوته بإمكانه إعطاء صوت موسيقيّ يوحي بنهاية التّكبيرات أثناء الصّلاة عند إستخدامه القرار والجواب، والإمام الذّي يتقيّد بذلك يخلط الأمر على المصلّين من خلفه، فتجد منهم من يجلس ومنهم من يقوم خاصّة باستخدام الجواب مع التّكبيرة الأخيرة للجلوس والتشهّد.

[39]– ينظر: مقامات الموسيقى العربية ، ص38.

[40]– ينظر: نفسه ، ص36.

[41]– ينظر: نفسه ، ص 21

[42]– الآية 29 من سورة ص.

–قائمة المصادر والمراجع:

*** القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.**

1– أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، القاهرة، دار الكتب المصرية، 32/18.

2-أبو عبيد القاسم بن سلام، فضائل القرآن، تح: وهبي سليمان غاوجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1991م، ص76.

3- أبو العلاء الحسن بن حمد الهمداني العطار،التّمهيد في معرفة التّجويد تح:غانم قدوري، عمّان،الأردن،دارعمّار ،2000م،ص185.

4- أبو علي الحسن بن أحمد بن البناء، بيان العيوب التّي يجب أن يتجنّبها القرّاء ، تح: غانم قدوري، عمان ،دار عمّار للنّشر والتّوزيع، 2001م، ص47.

5- أبو مزاحم الخاقاني، المنظومة الخاقانية ، مكتبة أولاد الشّيخ للتّراث، دت، ص18.

6- ابراهيم شادي، البلاغة الصّوتية في القرآن الكّريم، القاهرة ، الشّركة الإسلاميّة للإنتاج والتّوزيع (الرّسالة) ، 1988م، ص11.

7- ابن الباذش، الإقناع في القراءات السّبع، تح: عبد المجيد قطامش، دمشق، دار الفكر، 1403هـ، 556/1.

8- ابن الجزري النّشر في القراءات العشر، مراجعة علي محمّد الضباع، بيروت ، دار الكتب العلميّة، ، 213/1.

9- أيمن رشدي سويد، البيان لحكم قراءة القرآن الكّريم بالألحان ، جدّة، الهيئة الخيرية لتحفيظ القرآن الكّريم، 1412هـ،ص7.

10 – براءة نور الدّين الصّباغ ،التّرتيل القرآنيّ مفهومه وأثره في اللّغة – دراسة صوتيّة تحليليّة-، رسالة ماجستير، جامعة الشّرق الأوسط، 2012م، ص20.

11- الدوسري ،إبراز المعانيّ بالأداء القرآنيّ ، الرّياض ، دار الحضارة للنّشر والتّوزيع، 2007م، ص24 و25.

12- الرافعيّ، إعجاز القرآن والبلاغة النّبوية، مصر، مطبعة المقتطف،1988م، ص97.

13- الزّبيدي،تاج العروس ،مطبعة الكّويت (طبعة مصوّرة)، 2008م، باب الواو والياء، فصل الهمزة.

14- الزّركشي ،البرهان في علوم القرآن للزّركشي، تح: أبيّ الفضل الدمياطي، القاهرة، دار الحديث للطّبع والنّشر والتّوزيع، دط، 2006، ص450.

15 – صالح المهدي، مقامات الموسيقى العربية،المعهد الرشيدي للموسيقى التونسية، تونس، ط2، ص21-38.

16- عبد الفتاح السّيد عجميّ المرصفي، غاية القارئ إلى تجويد كلام الباري ، المدينة المنوّرة، مكتبة طيبة، دت، ص43.

17- عبد الوارث عسر، فنّ الإلقاء، القاهرة، مصر ،الهيئة المصرية العامّة للكتاب، 1982، ص7.

18- العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاريّ، الميرلية سولاق، مصر، المطبعة الكبرى، 1301هـ، 94/1.

19– عطيّة قابل نصر، غاية المزيد في علم التّجويد ، الرّياض،دد ، 1994م، ص20.

20– علم الدّين السّخاوي، جمال القرّاء وكمال الإقراء، ، تح: علي حسين التّواب، مكّة المكرّمة، مطبعة المدنيّ، 1987م، 54/2.

21– محمود طاهر درويش، الخطابة في صدر الإسلام، القاهرة، دار المعارف، 1968م، 33/1.

22– نصر بن علي الشيرازي، الموضّح في وجوه القراءات وعللها ، مكّة المكرّمة، الجمعيّة الخيريّة لتحفيظ القرآن الكّريم، 1993م، 154/1.